بشر الحافـى

أعــلام التصـوف

بشر الحافي

هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي أبو نصر الزاهد المعروف بالحافي. كان اسم جده عبد الله الغيور، أسلم على يدي علي بن أبي طالب.

وكان مولده ببغداد سنة خمسين ومائة، وتعلم الحديث والفقه بها من حماد بن زيد وعبد الله بن المبارك وابن مهدي وأبي بكر بن عياش وتعلم علي يديه مجموعة من العلماء منهم: أبو خيثمة وزهير بن حرب وسري السقطي والعباس بن عبد العظيم ومحمد بن حاتم.

ثم اشتغل بالعبادة واعتزل الناس ولم يحدث، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة في عبادته وزهادته وورعه ونسكه وتقشفه.

قال الإمام أحمد يوم بلغه موته: لم يكن له نظير إلا عامر بن عبد قيس ولو تزوج لتم أمره، وفي رواية عنه أنه قال: ما ترك بعده مثله، وقال إبراهيم الحربي: ما أخرجت بغداد أتم عقلاً منه، ولا أحفظ للسانه منه، ما عرف له غيبة مسلم، وكان في كل شعرة منه عقل ولو قسم عقله على أهل بغداد لصاروا عقلاء وما نقص من عقله شيء، وذكر غير واحد أن بشراً كان لصاً في بدء أمره، وأن سبب توبته أنه وجد رقعة فيها اسم الله عز وجل في أتون حمام فرفعها ورفع طرفه إلى السماء وقال: سيدي اسمك ههنا ملقى يداس ثم ذهب إلى عطار فاشترى بدرهم غالية وضمخ تلك الرقعة منها ووضعها حيث لا تنال، فأحيا الله قلبه وألهمه رشده وصار إلى ما صار إليه من العبادة والزهادة.

صحب الفضيل بن عياض ورأى سريا السقطي، وغيره.

أقام بشر بن الحارث بعبادان يشرب ماء البحر، ولا يشرب من حياض السلطان، حتى أضر بجوفه، ورجع إلى أخته وجعاً، وكان يعمل المغازل، ويبيعها، فذاك كسبه.

ولقب بالحافى لأنه جاء إلى إسكاف يطلب منه شسعاً لأحد نعليه، وكان قد انقطع، فقال له الإسكاف: " وما أكثر كلفتكم على الناس! " فألقى النعل من يده والأخرى من رجله، وحلف لا يلبس نعلاً بعدها.

مات عشية الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول - وقيل: لعشر خلون من المحرم - سنة سبع وعشرين ومائتين، وقد بلغ من العمر خمساً وسبعين سنة [1].

وحين مات اجتمع في جنازته أهل بغداد عن بكرة أبيهم فأخرج بعد صلاة الفجر فلم يستقر في قبره إلا بعد العتمة، وكان علي المدائني وغيره من أئمة الحديث يصيح بأعلى صوته في الجنازة هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة، وقد روي أن الجن كانت تنوح عليه في بيته الذي كان يسكنه، وقد رآه بعضهم في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي ولكل من أحبني إلى يوم القيامة.

وروي أن سفيان بن محمد المصيصي قال: رأيت بشر بن الحارث في النوم فقلت: ما فعل الله تعالى بك؟ قال: غفر لي وأباح لي نصف الجنة وقال لي: يا بشر لو سجدت على الجمر ما أديت شكر ما جعلت لك في قلوب عبادي [2].

(1) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 16.

(2) طبقات ابن سعد، 7 / 342، تاريخ ابن معين، 58، المعارف، 525، الجرح والتعديل، 2 / 356، طبقات الصوفية، 39 - 43، حلية الأولياء، 8 / 336 - 360، تاريخ بغداد، 7 / 67، صفة الصفوة، 2 / 183 - 190، اللباب، 1 / 331، 332، وفيات = الأعيان، 1 /

قال أحمد بن حنبل: لو كان بشر تزوج، لتم أمره.

قال إبراهيم الحربي: ما أخرجت بغداد أتم عقلاً من بشر، ولا أحفظ للسانه، كان في كل شعرة منه عقل، وطئ الناس عقبه خمسين سنة، ما عرف له غيبة لمسلم، ما رأيت أفضل منه!

مواقف من حياته رحمه الله:

المحبوب لا يدرى ما حاله!

ولقيه سكران، فجعل يقبله ويقول: " يا سيدي! " ولا يدفعه بشر عن نفسه، فلما ولى تغرغرت عينا بشر، وجعل يقول: " رجل أحب رجلاً على خير توهمه! لعل المحب قد نجا، والمحبوب لا يدرى ما حاله! " [1].

أليس كنت تبغضهم؟ !

قال أبو عبد الله المحاملي:حدثني أبى قال: كان عندنا رجل من التجار صديقاً لي، وكان يقع في الصوفية كثيراً، ثم رأيته بعد ذلك يصحبهم، وينفق عليهم ماله. فقلت له: " أليس كنت تبغضهم؟ ! " فقال: " ليس الأمر على ما كنت أتوهم ". فقلت له: " كيف؟ ". قال: " صليت يوماً الجمعة، فرأيت بشراً مسرعاً خارجاً من المسجد، فقلت في نفسي: لأنظرن إلى هذا الزاهد!. فاشترى خبز الماء بدرهم، ثم شواء بمثله؛ فزادني غيظاً. ثم قالوا ذجاً بدرهم؛ فتبعته فخرج إلى

274 - 277، تذهيب التهذيب 1 / 83 / 1، العبر 1 / 399، دول الإسلام 1 / 137، مرآة الجنان 2 / 92، البداية والنهاية 10 / 297 - 299، طبقات الأولياء 109 - 118، تهذيب التهذيب 1 / 444، النجوم الزاهرة 2 / 249، 250، خلاصة تذهيب الكمال، 48، طبقات الشعراني 1 / 84 - 86، شذرات الذهب 2 / 60 - 62، شرح الرسالة القشيرية 1 / 88 - 94.

(1) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 17.

الصحراء، وأنا أقول: " يريد الخضرة والماء! ". فما زال يمشى إلى العصر وأنا خلفه، فدخل مسجداً في قرية، فيه مريض، فجعل يلقمه. فقمت أنظر إلى القرية وعدت، فقلت للمريض: " أين بشر؟ ". قال: " ذهب إلى بغداد ". قلت: " كم بيني وبينها؟ ". قال: " أربعون فرسخاً ". فقلت: " أنا لله! " فقال: " اجلس حتى يرجع ". فجاء الجمعة القابلة، ومعه شئ يطعمه للمريض، فلما فرغ قال له: " يا أبا نصر! هذا الرجل صحبك من بغداد، وهو عندي منذ جمعة ". قال فنظر إلى كالمغضب، وقال: " لم صحبتنى؟ ! " قلت: " أخطأت! " قال: " قم فامش! ". فمشيت إلى المغرب، فلما قربنا من بغداد قال: " اذهب إلى محلتك ولا تعد! " فتبت إلى الله مما كنت أعتقده فيهم، ثم آثرت صحبتهم، وأنا على ذلك "[1].

أواسيهم بنفسي

وقال بعضهم: " دخلت على بشر في يوم شديد البرد، وقد تعرى من ثيابه وهو ينتفض، فقلت له: " الناس يزيدون من الثياب فى مثل هذا اليوم، وأنت قد نقصت؟ ! " فقال: " ذكرت الفقراء، وما هم فيه، ولم يكن لي ما أواسيهم به، فأردت أن أواسيهم بنفسي في مقاساة البرد "[2].

لو ألهمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة!

وقال منصور الصياد: " مر بي بشر - وهو منصرف من صلاة العيد - فقال لى: " فى هذا الوقت؟ ! " فقلت: " ليس في البيت دقيق ولا خبز! " فقال: " الله المستعان! احمل شبكتك وتعال إلى الخندق ".

(1) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 17.
(2) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 17.

وأمرني بالوضوء وصلاة ركعتين، ثم قال لي: " ألقها، وقل: بسم الله! " فألقيتها، فوقعت فيها سمكة كبيرة، فقال: " بعها! " فبعتها بعشرة دراهم، واشتريت منها جميع ما يحتاجون اليه. ثم أخذت رقاقتين وعليهما حلوى، وجئت بهما إلى بشر، فدققت الباب، فقال: " من؟ " قلت: " منصور الصياد! " فقال: " ادفع الباب، وضع ما معك فى الدهليز، وادخل أنت " فدخلت، فقال " لو ألهمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة! " [1].

ذهب عنك اسم الحافى

وروى أنه أتى باب المعافى بن عمران فدقه، فقيل: " من؟ " قال: " بشر الحافى " فقال: بنية من داخل الدار: " لو اشتريت نعلاً بدانقين ذهب عنك اسم الحافى " [2].

دخلت دار بشر

وروى أن امرأة جاءت إلى أحمد بن حنبل، فقالت: " إنى امرأة أغزل بالليل والنهار، وأبيع الغزل، ولا أبين غزل النهار من الليل، فهل على فى ذلك شىء؟ . فقال: " يجب أن تبيني! " ثم انصرفت، فقال أحمد لأبنه: " اذهب فانظر أين تدخل! ". فرجع فقال: " دخلت دار بشر " [3].

فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت

وقال محمد بن نعيم: " دخلت على بشر في علته، فقلت: " عظني! ". فقال: " إن في هذه الدار نملة، تجمع الحب فى الصيف

(1) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 17.
(2) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 18.
(3) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 18.

لتأكله في الشتاء؛ فلما كان يوماً أخذت حبة في فمها، فجاء عصفور فأخذها، فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت " [1].

الموتى داخل السور أكثر

قال أبو بكر الباقلاني: سمعت بشر بن الحارق ونحن معه بباب حرب، وأراد الدخول إلى المقبرة فقال: الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور [2].

لو أعلم أن هذا هاهنا لم أتكلم

قال عباس بن دهقان: قلت لبشر بن الحارث أحب أن أخلو معك قال إذا شئت فبكرت يوماً فرأيته قد دخل قبة فصلى أربع ركعات فسمعته يقول في سجوده: اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل أحب إلي من الشرف اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلي من الغنى اللهم إنك تعلم فوق عرشك أني لا أوثر على حبك شيئاً فلما سمعته أخذني الشهيق والبكاء فلما سمعني قال: أنت تعلم أني لو أعلم أن هذا هاهنا لم أتكلم [3].

الحمد لله الذي أرضى بشراً بما صنعنا

- أدخل أحمد بن حنبل الكير فخرج ذهباً أحمر وآل علي فبلغ ذلك أحمد فقال: الحمد لله الذي أرضى بشراً بما صنعنا [4].

المحدثون كثير

(1) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 19.
(2) وفيات الأعيان، 1 /468.
(3) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، العلو للعلي الغفار، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، 1995، ص 172.
(4) حلية الأولياء، 8 /336.

قال الحسن بن سعيد: كنا يوماً عند بشر بن الحارث فجاء رجل من خراسان فبرك قدامه فقال له: يا أبا نصر أنا وفد خراسان حدثني بخمسة أحاديث أذكرك بها بخراسان فلم يزل يتذلل له وبشر يقول له: المحدثون كثير فلم يزل يداريه ويجتهد به فلما رأى أنه لا ينفعه شيء قال له: يا أبا نصر أليس تروي عن عيسى عليه السلام أنه قال من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعي عظيما في ملكوت السماء قال له: كيف؟ قلت: أعد علي فأعاد عليه القول من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعي عظيماً في ملكوت السماء قال له: صدقت قد علمنا حتى نعمل ثم نعلم [1].

فأبشر يا أبا نصر

قال أحمد بن محمد بن غزوان: بكرت أنا وأخي في غداة باردة جداً إلى بشر فألفيناه على بابه معه خليل الخياط ثم قام يمشي أمامنا وعليه فرو خلق وخف قصير فوق عقبه فقام ليخرج إلى السوق وعليه إزار لطيف جداً فما مر بواحد أو أكثر إلا رفع صوته وقال: السلام عليكم فلما خرج إلى السوق وقف على رجل دقاق فسأله عن سعر الدقيق بالأمس فقال: ناقص فابشر يا أبا نصر فحمد الله وأخذ.

أشتهي أن أمرض بلا عواد

ومما سمعت من كلامه أن بشراً أرجف الناس بموته بباب الطاق في يوم مطير فجئت في المطر والطين حتى بلغت بابه فإذا على بابه ثلاثة نفر شيخ منهم يقول إنما جئنا نعودك يا أبا نصر فقال لهم وهو يبكي: لا حاجة لي في عيادتكم اذهبوا عني فقد آذيتموني وهو يبكي

(1) حلية الأولياء، 8 /337.

وقال: قال فضيل أشتهي أن أمرض بلا عواد [1]

كيف أتكلم في النبيذ

قال محمد بن يوسف الجوهري: سألت بشر بن الحارث عن النبيذ فقال: قد ضاق على الماء فكيف أتكلم في النبيذ[2]

أنت قلت ولم تعمل

قال محمد بن إسحاق أمام سلامة قلت لبشر بن الحارث: إني أحب أن أسلك طريق إبراهيم بن أدهم قال: لا تقوى قلت ولم ذاك؟ قال: لأن إبراهيم عمل ولم يقل وأنت قلت ولم تعمل [3]

تغتم لي حية وميتة

- قال محمد بن الهيثم: كنت أدخل على أخت بشر في صغري فأعطتني يوماً كبة من غزل فقالت: بع هذه الكبة واشتر خبزاً وسمكاً ففعلت فدخل بشر والخبز والسمك موضوع فقال بشر: ما هذا الطعام؟ قالت: رأيت أمي وأمك في المنام فقالت: إن أردت فرحي وإدخالك السرور علي فبيعي من غزلك واشتري خبزاً وسمكاً فان أخاك بشراً يشتهيها قالت: فلما ذكرت أمي وأمه بكى وقال: رحمها الله تغتم لي حية وميتة فقال بشر: إني لأشتهيه منذ خمس وعشرين سنة ما كان الله عز وجل يراني أن أرجع في شئ تركته لله. وكان غزل أخته فيما ذكر أنها قصدت أحمد بن حنبل فقالت: إنا قوم نغزل بالليل ومعاشنا منه وربما يمر بنا مشاعل بني طاهر ولاة بغداد ونحن على السطح فنغزل في ضوئها الطاقة والطاقتين أفتحله لنا أم تحرمه فقال لها: من أنت؟ قالت:

(1) حلية الأولياء، 8 /338.
(2) حلية الأولياء، 8 /340.
(3) حلية الأولياء، 8 /348.

أخت بشر فقال: آه يا آل بشر لا عدمتكم لا أزال أسمع الورع الصافي من قبلكم[1].

ما يكره الموت إلا مريب

قال عمر بن موسى: سمعت بشر بن الحارث يقول: لقد شهرني ربي في الدنيا فليته لايفضحني في القيامة ما أقبح بمثلي يظن فيَّ ظناً وأنا على خلافه إنما ينبغي لي أن أكون أكثر مما يظن بي أني أكره الموت وما يكره الموت إلا مريب ولولا أني مريب لأي شيء أكره الموت [2].

يطعم هذا من يعصيه

وقال رجل: رأيت بشر بن الحارث وقف على أصحاب الفاكهة فجعل ينظر فقلت: يا أبا نصر لعلك تشتهي من هذا شيئاً قال: لا ولكن نظرت في هذا إذا كان يطعم هذا من يعصيه فكيف من يطيعه [3].

ينبغي أن أستحي من الله

وعن أبي بكر المروزي قال: سمعت بعض القطانين يقول أهدى إلي أستاذي رطباً وكان بشر يقيل في دكاننا في الصيف فقال له: أستاذي يا أبا نصر هذا من وجه طيب فإن رأيت أن تأكل قال: فجعل يمسه بيده ثم ضرب بيده إلى لحيته وقال: ينبغي أن أستحيي من الله إني عند الناس تارك لهذا وآكله في السر[4].

- حكي عن بشر أنه قال: ربما رفعت يدي في الدعاء فأردها أو

(1) حلية الأولياء، 8 /353.
(2) صفة الصفوة، 2 /326.
(3) صفة الصفوة، 2 /326.
(4) صفة الصفوة، 2 /327.

قال فأستلها أقول إنما يفعل هذا من له عنده وجه.

أني أخاف أن أسكت

وعن الفتح بن شحرف قال: كنت جالساً عند بشر إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة فأطرق ملياً ثم رفع رأسه ثم أطرق ثم رفع رأسه فقال: اللهم

إنك تعلم أني أخاف أن أتكلم اللهم إنك تعلم أني أخاف أن أسكت اللهم إنك تعلم أني أخاف أن تأخذني فيما بين السكوت والكلام.

تفكرت في بشر

وعن زبدة أخت بشر بن الحارث قالت: دخل بشر علي ليلة من الليالي فوضع إحدى رجليه داخل الدار والأخرى خارج الدار وبقي كذلك يتفكر حتى أصبح فلما أصبح قلت له: في ماذا تفكرت طول الليلة؟ قال: تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودي وبشر المجوسي ونفسي واسمي بشر فقلت: مالذي سبق منك حتى خصك فتفكرت في تفضله علي وحمدته علي أن جعلني من خاصته وألبسني لباس أحبائه.

إليك عني تأكلين قوتي

وقال بشر: كان لي سنور فكنت إذا وضعت طعامي بين يدي جاءت فعيناها في عيني فآكل وأرمي لها قال: فقلت: إليك عني تأكلين قوتي[1].

هكذا ندفع الدنيا

وعن عمرو بن موسى بن فيروز قال: رأيت بشراً ومعه رجل فتقدم إلى بئر ليشرب منها فجذبه بشر وقال: تشرب من البئر الأخرى

(1) صفة الصفوة، 2 /328.

حتى جاوز ثلاثة آبار فقال له الرجل: أبا نصر أنا عطشان فقال له بشر: اسكت فهكذا ندفع الدنيا [1].

أنين المريض

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: دخلت امرأة على أبي فقالت له: يا أبا عبد الله، إني امرأة أغزل في الليل على ضوء السراج، وربما طفىء السراج فأغزل على ضوء القمر، فهل علي أن أبين غزل السراج من غزل القمر فقال لها أبي: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك، فقالت له: يا أبا عبد الله أنين المريض هل هو شكوى فقال لها: إني أرجو أن لا يكون شكوى، ولكن هو اشتكاء إلى الله تعالى، ثم انصرفت؛ قال عبد الله: فقال لي أبي: يا بني ما سمعت إنساناً قط يسأل عن مثل ما سألت هذه المرأة، اتبعها؛ قال عبد الله: فتبعتها إلى أن دخلت دار بشر الحافي، فعرفت أنها أخت بشر، فأتيت أبي فقلت له: إن المرأة أخت بشر الحافي، فقال أبي: هذا والله هو الصحيح، محال أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشر الحافي.

من ههنا أتيت

وقال عبد الله أيضاً: جاءت مخة أخت بشر الحافي إلى أبي فقالت: يا أبا عبد الله، رأس مالي دانقان أشتري بهما قطناً فأغزله وأبيعه بنصف درهم، فأنفق دانقاً من الجمعة إلى الجمعة، وقد مر الطائف ليلة ومعه مشعل فاغتنمت ضوء المشعل وغزلت طاقين في ضوئه، فعلمت أن الله سبحانه وتعالى في مطالبة، فخلصني من هذا خلصك الله تعالى، فقال أبي: تخرجين الدانقين ثم تبقين بلا رأس مال حتى

(1) صفة الصفوة، 2 /333.

يعوضك الله خيراً منه؛ قال عبد الله: فقلت لأبي: لو قلت لها حتى تخرج رأس مالها، فقال: يابني سؤالها لا يتحمل التأويل، فمن هذه المرأة فقلت: هي مخة أخت بشر الحافي، فقال أبي: من ههنا أتيت.

وقال بشر الحافي: تعلمت الزهد من أختي فإنها كانت تجتهد ألاَّ تأكل ما لمخلوق فيه صنع [1].

خشيت على نفسي شيطانيه

وقفت جارية لم ير أحسن وجها منها على بشر الحافي فسألته عن باب حرب، فدلها، ثم وقف عليه غلام حسن الوجه فسأله عن باب حرب، فأطرق رأسه، فرد عليه الغلام السؤال فغمض عينيه، فقيل له: يا أبا نصر جاءتك جارية فسألتك فأجبتها، وجاءك هذا الغلام فسألك فلم تكلمه؟ فقال: نعم يروى عن سفيان الثوري أنه قال: مع الجارية شيطان، ومع الغلام شيطانان، فخشيت على نفسي شيطانيه.

إن كنت حراً فاصنع ما شئت

يروى أن بشراً الحافي مر على بيت فسمع فيه صوت الدفوف، والمزامير، والغناء! فقرع الباب، فخرجت إليه امرأة، قال لها: من صاحب هذا البيت؟ قالت: ماذا تريد منه؟ قال: أريد أن أعلم أعبد هو أم حر؟ قالت: لا بل هو حر، قال لها: أخبريه بأن بشراً الحافي يقول لك: إن كنت حراً فاصنع ما شئت، وإن كنت عبداً فلا تتصرف إلا بإذن سيدك.

(1) وفيات الأعيان، 1 /276.

فضحكت المرأة وذهبت للرجل، وقالت: في الباب رجل مخبول! يقول: كذا وكذا، قال: كلا والله! هذا هو عين العقل، صدق، أنا عبد ولست حراً، أنا عبد لله عز وجل، وما عندي من مال ومتاع، لا يجوز لي أن أتصرف فيه إلا بإذن سيدي وهو الله تعالى، فتاب إلى الله تعالى، وكسر مزاميره، وطنابيره، وأقلع عما كان يفعله.

لا يعرفون الله إلا في رمضان!

- ولمَّا سُئِل بشر الحافي رحمه الله عن أناس يتعبدون في رمضان ويجتهدون، فإذا انسلخ رمضانُ تركوا، قال: بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان!

لا يؤاخذك الله على هذا

- عن محمد بن نصر الخزاعي الصائغ قال: سمعت بشر بن الحارث الحافي وقد ضحك عنده رجل فقال: احذر يا ابن الأخ لا يؤاخذك الله على هذا.

من أين تأكل؟

وقيل لبشر الحافي: من أين تأكل؟ قال: من حيث تأكلون، ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك.

هو ماء بشر الحافي

ولما مرض بشر الحافي رحمه الله تعالى قالوا أندعو لك طبيباً فقال: إني بعين الطبيب يفعل بي ما يريد فألح عليه أهله وقالوا لا بد أن ندفع ماءك إلى الطبيب فقال لأخته: ادفعي إليهم الماء في قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمي وكان حاذقاً في الطب فأتوه بمائه في القارورة فلما رآه قال: حركوه فحركوه ثم قال: ضعوه ثم قال: ارفعوه فقالوا له: ما بهذا وصفت لنا؟ قال: وبم وصفت لكم؟ قالوا: بالحذق

والمعرفة قال: هو كما تقولون غير أن هذا الماء إن كان ماء نصراني فهو راهب قد فتتت كبده العبادة وإن كان مسلماً فهو ماء بشر الحافي فإنه أوحد أهل زمانه في السلوك مع الله تعالى قالوا: هو ماء بشر الحافي فأسلم النصراني وقطع زناره فلما رجعوا إلى بشر قال لهم: أسلم الطبيب فقالوا: ومن أعلمك؟ قال: لما خرجتم من عندي هتف لي هاتف وقال: يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة [1].

من كلامه رحمه الله:

- " لا تكون كاملًا حتى يأمنك عدوك، وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك؟ ! ".

- أول عقوبة يعاقب بها ابن آدم في الدنيا مفرقة الأحباب ".

- من أراد أن يكون عزيزاً فى الدنيا سليماً في الآخرة فلا يحدث، ولا يشهد، ولا يؤم قوماً، ولا يأكل لأحد طعاماً ".

- " غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه، وإخفاء مكانه عنهم ".

- " التكبر على المتكبر من التواضع ".

- " من أراد عز الدنيا وشرف الآخرة فعليه بثلاث: لا يأكل طعام أحد، ولا يسأل أحداً حاجة، ولا يذكر إلا بخير ".

- " يكون الرجل مرائياً في حياته، وبعد موته يحب أن يكثر الناس على جنازته! ".

(1) وفيات الأعيان، 1 /277.

- " لو علمت أن أحداً يعطى لله لأخذت منه، ولكن يعطى بالليل ويحدث بالنهار ".

- " يقول أحدهم: توكلت على الله! ويكذب، لأنه لو توكل على الله صادقاً لرضى بما يفعله به ".

- " إذا أراد الله أن يتحف العبد سلط عليه من يؤذيه ".

- " الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه للناس ".

- وقيل له: باى شئ آكل الخبز؟ " فقال: " اذكر العافية، واجعلها إداماً! ".

- وقال، يوم ماتت أخته: " إن العبد إذا قصر في الطاعة سلب من يؤنسه " [1].

- " عليك بلزوم بيتك، وترك ملاقاة الناس ".

- إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم، وإذا هممت بغلاء السعر فاذكر الموت فإنه يذهب عنك هم الغلاء[2].

- لا ينبغي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من يصبر على الأذى.

- ينبغي لهؤلاء القوم الذين يعتكفون على هذا المسكر أن لا تقبل لهم شهادة.

- لو تفكر الناس في عظمة الله لما عصوا الله.

من سأل الله تعالى الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف.

(1) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 18.
(2) وفيات الأعيان، 1 /468.

- قال بشر بن الحارث وقيل له: مات فلان قال: وجمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه فقيل له: إنه كان يفعل ويفعل وذكر أبوابا من أبواب البر فقال: ما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا [1].

- عز المؤمن استغناؤه عن الناس وشرفه قيامه بالليل.

- إرضاء الخلق غاية لا تدرك.

- ما أنا بشيء من عملي أوثق به مني بحبي أصحاب صلى الله عليه وسلم.

- أوثق عملي في نفسي حب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم [2].

- قال سليمان بن يعقوب: قلت لبشر بن الحارث: عظني قال: انظر خبزك من أين هو ولا تعرض للنار [3].

- عليكم بالرفق والاقتصاد في النفقة فلأن تبيتوا جياعاً ولكم مال أحب إليَّ من أن تبيتوا شباعاً وليس لكم مال.

- قال الفضل بن العباس الحلبي: سمعت أبا نصر بشر بن الحارث وذكر العلم وطلبه فقال: إذا لم يعمل به فتركه أفضل والعلم هو العمل فاذا أطعت الله علمك وإذا عصيته لم يعلمك والعلم أداة الأنبياء إلى احتجابهم فذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أدى إلى أصحابه فتمسكوا به وحفظوه وعملوا به ثم أدوه إلى قوم فذكر من فضلهم وأدوا أولئك إلى قوم آخرين فذكر الطبقات الثلاث ثم قال أبو

(1) حلية الأولياء، 8 /337.
(2) حلية الأولياء، 8 /337.
(3) حلية الأولياء، 8 /338.

نصر: وقد صار العلم إلى قوم يأكلون به [1].

- لا تطلب علماً تهينه للناس هذا هو الداء الأكبر.

- ما خلف رجل في بيته أفضل أو خيراً من ركعتين يصليهما.

- الصبر هو الصمت والصمت من الصبر ولا يكون المتكلم أورع من الصامت إلا رجل عالم يتكلم في موضعه ويسكت في موضعه.

كتب بشر بن الحارث أبو نصر إلى أبي الحسن علي بن خشرم السلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني أسأل الله أن يتم ما بنا وبكم من نعمة وأن يرزقنا وإياكم الشكر على إحسانه وأن يميتنا ويحيينا وإياكم على الإسلام وأن يسلم لنا ولكم خلفاً من تلف وعوضاً من كل رزية أوصيك بتقوى الله يا علي ولزوم أمره والتمسك بكتابه ثم اتباع آثار القوم الذين سبقونا بالإيمان وسهلوا لنا السبل فاجعلهم نصب عينيك وأكثر عرض حالاتهم عليك تأنس بهم في الخلاء ويغنوك عن مشاهدة الملأ فمثل حالهم كأنك تشاهدهم فمجالسة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أوفق من مجالسة الموتى ومن يرقب منك زلتك وسقطتك إن قدر عليها فإن لم يقدر عليها جعل جليسا أن رآه عندك عيبك فرماك بما لم يره الله منك واعلم علمك الله الخير وجعلك من أهله أن أكثر عمرك فيما أرى قد انقضى ومن يرضى حاله قد مضى وأنت لاحق بهم وأنت مطلوب ولا تعجز طالبك وأنت أسير في يديه وكل الخلق في كبريائه صغير وكلهم إليه فقير فلا يشغلنك كثرة من يحبك وتضرع إليه تضرع ذليل إلى عزيز وفقير

(1) حلية الأولياء، 8 /340.

إلى غني وأسير لا يجد ملجأ ولا مفراً يفر إليه عنا وخائف مما قدمت يداه غير واثق على ما يقدم لا يقطع الرجاء ولا يدع الدعاء ولا يأمن من الفتن والبلاء فلعله إن رآك كذلك عطف عليك بفضله وأمدك بمعونته وبلغ بك ما تأمله من عفوه ورحمته فافزع إليه في نوائبك واستعنه على ما ضعفت عنه قوتك فإنك إذا فعلت ذلك قربك بخضوعك له ووجدته أسرع إليك من أبويك وأقرب إليك من نفسك وبالله التوفيق وإياه أسأل خير المواهب لنا ولك واعلم يا علي أنه من ابتلى بالشهرة ومعرفة الناس فمصيبته جليلة فجبرها الله لنا ولك بالخضوع والاستكانة والذل لعظمته وكفانا وإياك فتنتها وشر عاقبتها فإنه تولى ذلك من أوليائه ومن أراد توفيقه وارجع إلى أقرب الأمرين بك الى إرضاء ربك ولا ترجعن بقلبك الى محمدة أهل زمانك ولا ذمهم فإن من كان يتقي ذلك منه قد مات وإنارة إحياء القلوب من صالح أهل زمانك وإنما أنت في محل موتي ومقابر أحياء ماتوا عن الآخرة ودرست عن طرقها آثارهم هؤلاء أهل زمانك فتوار مما لا يستضاء فيها بنورالله ولا يستعمل فيها كتابه إلا من عصم الله ولا تبال من تركك منهم ولا تأس على فقدهم واعلم أن حظك في بعدهم أوفر من حظك في قربهم وحسبك الله فاتخذه أنيساً ففيه الخلف منهم فاحذر أهل زمانك وما العيش مع من يظن به في زمانك الخير ولا مع من يسيء به الظن خير وما ينبغي أن يكون طلعة أبغض إلى عاقل تهمه نفسه من طلعة إنسان في زمانك لأنك منه على شرف فتنة إن جالسته ولا تأمن البلاء إن جانبته وللموت في العزلة خير من الحياة وإن ظن رجل أن ينجو من الشر يأمن خوف فتنة فلا نجاة له إن أمكنتهم من نفسك آثموك وإن جانبتهم أشركوك فاختر لنفسك واكره لها ملابستهم

وأرى أن الفضل اليوم ما هو إلا في العزلة لأن السلامة فيها وكفى بالسلامة فضلاً اجعل أذنك عما يؤثمك صماء وعينك عنه عمياء احذر سوء الظن فقد حذرك الله تعالى ذلك وذلك قوله تعالى إن بعض الظن إثم والسلام [1].

- حب لقاء الناس حب الدنيا وترك لقاء الناس ترك الدنيا.

- لا أعلم رجلاً أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح.

- يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس.

- إذا كان لك صديق فلا تدل عليه الفقراء لا يكسرونه عليك.

- سكون النفس إلى المدح وقبول المدح لها أشد عليها من المعاصي[2].

- قال بشر بن الحارث وقد سئل عن من يغتاب الناس يكون عدلاً قال: لا إذا كان مشهوراً بذلك فهو الوضيع.

- إذا قل عمل العبد ابتلى بالهم.

- من أراد أن يكون عزيزاً في الدنيا سليماً في الآخرة فلا يحدث ولا يشهد ولا يؤم قوماً ولا يأكل لأحد طعاماً [3].

- لا تعط شيئاً لمخافة ملامة الناس.

- من جلس والأقداح تدور لا تقبل شهادته.

- اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك.

(1) حلية الأولياء، 8 /341.
(2) حلية الأولياء، 8 /343.
(3) حلية الأولياء، 8 /344.

- من أراد أن يلقن الحكمة فلا يعص الله

- ما اتقى الله من أحب الشهرة.

- لقي حكيم حكيماً فقال أحدهما لصاحبه: لا يراك الله عندما نهاك ولا يفقدك عندما أمرك.

- لا تعمل لتذكر ورد لله ما يريد [1].

- إذا أعجبك الكلام فاصمت وإذا أعجبك الصمت فتكلم.

- إذا اهتممت لغلاء السعر فاذكر الموت فإنه يذهب عنك هم الغلاء قال: وسمعت بشر بن الحارث يقول: إذا ذكرت الموت ذهب عنك صفوة الدنيا وشهواتها وذهبت عنك شهوة الجماع عند ذكر الموت.

- إنما أنت متلذذ تسمع وتملي إنما يراد من العلم العمل استمع وتعلم واعمل وعلم واهرب ألم تر إلى سفيان الثوري كيف طلب العلم فعلم وعمل وعلم وهرب وطلب العلم إنما يدل على الهرب من الدنيا ليس على حبها.

- إن لم تعمل فلا تعص.

- من عامل الله بالصدق استوحش من الناس.

- اكتم حسناتك كما تكتم سيآتك.

- إن استطعت أن تكون في موضع يحسبون أنك لص فافعل وإن استطعت أن تزيد ولا تنقص.

- ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت وليس أحد يزهد في

(1) حلية الأولياء، 8 /346.

الدنيا إلا أحب الموت حتى يلقى مولاه.

- العجب أن تستكثر عملك وتستقل عمل الناس أو عمل غيرك.

- لا تسأل عن مسائل تعرف بها عيوب الناس لا تقع في ألسنة الناس وإذا سألت عن مسألة فاعمل فإن لم تطق فاستعن بالله [1].

- يقول من حرم المعرفة لم يجد للطاعة حلاوة ومن لا يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحوال ومن زهد في الدنيا على حقيقة كانت مؤنته خفيفة ومن وهب له الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات والمؤمن إذا عاش حزيناً ولم يرد القيمة أفضل من الراضين عن الله.

النظر إلى من يكره حمى باطنة.

- بقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين.

- النظر إلى الأحمق سخنة عين والنظر إلى البخيل يقسي القلب ومن لم يحتمل الغم والأذى لم يقدر أن يدخل فيما يحب.

- ما أجفا صاحب الدنيا وأصفق وجهه.

- وقال إن لم تعمل فلا تعص.

- وقال خصلتان تقسيان القلب كثرة الكلام وكثرة الأكل.

- صاحب ربع سخي أحب إلي من قارئ بخيل أو قال: ما أعلم أحداً من الناس إلا مبتلى رجل بسط الله تعالى له في رزقه فينظر كيف شكره ورجل قبض الله عز وجل عنه رزقه فينظر كيف صبره [2].

- قل لمن طلب الدنيا تهيأ للذل.

---

(1) حلية الأولياء، 8 /348.
(2) حلية الأولياء، 8 /349.

- لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك وكيف تكون خيراً وصديقك لا يأمنك.

- قال بشر بي داء ما لم أعالج نفسي لا أتفرغ لغيري فإذا عالجت نفسي تفرغت لغيري بموضع الداء وموضع الدواء إن أعانني منه بمعونة ثم قال: أنتم الداء أرى وجوه قوم لا يخافون الله متهاونين بأمر الآخرة.

- لا يجد العبد حلاوة العبادة حتى يجعل بينه وبين الشهوات حائطاً من حديد قال: وسمعت بشراً يقول: الدعاء كفارة الذنوب [1].

- لو سقطت قلنسوة من السماء ما سقطت إلا على رأس من لا يريدها.

- ما أعلم أحد أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح [2].

- الجوع يصفي الفؤاد، ويميت الهوى، ويورث العلم الدقيق.

- المتقلب في جوعه كالمتشحط في دمه في سبيل الله.

- شاطر سخي، أحب إلى الله من صوفي بخيل.

- أمس قد مات، واليوم في السياق، وغداً لم يولد.

- اللهم إنك تعلم أن الذل أحب إلي من العز، وأن الفقر أحب إلي من الغنى، وأن الموت أحب إلي من البقاء.

- لا يفلح من ألف أفخاذ النساء [1].

(1) حلية الأولياء، 8 /354.
(2) حلية الأولياء، 8 /353.

- غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وإخفاء مكانه عنهم.

- اللهم استر واجعل تحت الستر ما تحب فربما سترت على ما تكره[2].

- قال رجل لبشر: مالي أراك مغموماً؟ قال: ما لي لاأكون مغموماً وأنا رجل مطلوب

- وعن الحسن بن عمرو قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: لو علمت أن رضاه أن أشد في رجلي حجراً ثم ألقي نفسي في البحر لفعلت.

- طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره

- حادثوا الآمال بقرب الآجال [3]

- بحسبك أن أقواماً موتى تحيا القلوب بذكرهم وأن أقواماً أحياء تعمى الأبصار بالنظر إليهم.

- يكون الرجل مرائياً في حياته مرائياً بعد موته قيل: كيف يكون مرائيا بعد موته؟ قال: يحب أن يكثر الناس على جنازته.

- الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد ثم قال: ذاك يركب ويرجع ويراه الناس وهذا يعطي سراً لا يراه إلا الله عز وجل.

- ما أقبح أن يطلب العالم فيقال: هو بباب الأمير [4].

(1) طبقات الصوفية ": 44 و45.
(2) صفة الصفوة، 2 /326.
(3) صفة الصفوة، 2 /332.
(4) صفة الصفوة، 2 /333.

- ومن دعائه: اللهم إن كنت شهرتني في الدنيا لتفضحني في الآخرة فاسلبه عني.

- عقوبة العالم في الدنيا أن يعمى بصر قلبه [1].

- لا يكره الموت إلا مريب وأنا أكرهه.

- قال رجل لبشر الحافي: أوصني. قال: الزم بيتك! فترك طلب الرئاسة رئاسة.

- من ضبط بطنه فقد ضبط الأعمال الصالحة كلها.

- لا تعود نفسك الشبع من الحلال فتدعوك إلى الحرام.

- وسأل رجل عن غسل الجمعة فقال: اغسل بطنك بكفيك من غسل بدنك.

- لا غيبة لبخيل، ولشرطيٍّ سخيٍّ أحب إلي من عابد بخيل [2].

من شعره رحمه الله:

- رخي البال ليس له عيال :: خلي من حربت ومن دهيت
قضى وطر الصبا وأفاد : علماً فغايته التفرد والسكوت
قرير العين لا ولد يموت :: ولا حذر يبادر ما يفوت
- الصعود يرتع في الرياض : حبس الهزار لأنه يترنم
وإنما :: جهلي كما قد ساءني ما
لو كنت أجهل ما علمت : أعلم[3]
لسرني :: ومن الشقاء تفردى بالسؤدد
- خلت الديار فسدت غير : [4]
مسود ::

(1) وفيات الأعيان، 1 /276.
(2) وفيات الأعيان، 1 /277.
(3) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 / 49، 2 / 331، 172.
(4) حلية الأولياء، 8 /350.

:
::
:

قال حسن المسوحي: رآني بشر بن الحارث يوماً وأنا أرتعد من البرد فنظر إلي فقال:

::
:
::
: والنـــوم تحـــت رواق الهـــم
قطع الليالي مع الأيام في حلق :: والقلـــــــــــــــــق
أحرى واعذرني من أن يقال : إنـي التمست الغنى من كف
غـــــــــــــــداً :: مختلـــــــــــــــق
قالوا رضيت بذا قلت القنوع : لـيس الغنـى كثـرة الأمـوال
غنـــــــــــــــى :: والـــــــــــــــورق
رضيت بالله في عسري وفي : فلســـت أســـلك إلا واضـــح
يســـــــــــــــري :: الطـــــــــــــــرق[1]
ذهب الرجال المرتجى لفعالهم : والمنكـرون لكـل أمـر منكـر
وبقيت في خلف يزين بعضهم :: بعضا ليدفع معور عن معور
ولـيس مـن يـزوق لـي دينـه : [2]
مـن حقـق الإيمـان فـي قلبـه :: يغرنـي، يـا قـوم!، تزويقـه
أقسـم بـالله! لرضـخ النـوى : يوشـك أن يظهـر تحقيقـه
أعـز للإنسـان مـن حرصـه :: وشـرب مـاء القلـب المالحـة
فاستغن باليأس تكن ذا غنى : ومـن سـؤال الأوجـه الكالحـه
فاليـأس عـز والتقـى سـؤدد :: مغتبطـاً بالصـفقة الرابحـه
مـن كانـت الـدنيا بـه بـرة : ورغبـة الـنفس لهـا فاضـحه
:: فإنهـا يومـاً لـه ذابحـه[3]
:
::
:

(1) حلية الأولياء، 8 /354.
(2) حلية الأولياء، 8 /344.
(3) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 18.

::
:

- قيل له بلغنا عن الحسن أنه قال: " لولا الليل وملاقاة الإخوان ما كنت أبالي متى مت! ". فقال بشر: " رحم الله الحسن! لقد كان الظن به خلاف هذا! ".

::
يا من يسر برؤية الإخوان : هلا أمنت مكايد الشيطان؟ !
خلت القلوب من المعاد وذكره :: وتشاغلت بالحرص
صارت مجالس من ترى : والخسران
وحديثهم :: في هتك مستور وفتق قران[1]
:

* * *

(1) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 19.